التَّعَبُّدُ بِالصَّمْتِ
صُوَرُهُ وَحَقِيقَتُهُ وَأَحْكَامُهُ
دِرَاسَةٌ عَقْدِيَّةٌ

إِعْدادُ:

د/ نهار بن عبد الرحمن بن نهار العتيبي

الأستاذ المساعد بكلية التربية بجامعة شقراء (محافظة شقراء)

مقدمة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، أما بعد:

العبادة هي ما شرعه الله تعالى لعباده من أعمال توافق ما جاء في كتاب الله تعالى، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فالعبادة مبنية على التوقيف؛ أي أنها متوقفة على الدليل الشرعي، ولا يجوز لشخص أن يتعبد الله تعالى كيفما كان.

ومن الأمور التي انتشرت أخيراً، التعبد لله تعالى من خلال الصمت؛ سواء بتحديد ذلك بمدة معينة، فبعض الناس يحددها بدقيقة عند العزاء، وبعضهم لا يحددها بمدة، وليس لهذا الصمت سبب كاستماع خطبة، أو درس، أو تفكر في خلق الله تبارك وتعالى.

فهل لهذا الفعل أصل في الشريعة الإسلامية، وهل هو من الأمور المشروعة، التي يثاب من فعلها أم أنه من البدع المحرمة التي لا يجوز فعلها ويأثم من فعلها.

أهمية الدراسة

تتعلق الدراسة بأهم ما أمر الله تعالى به المسلم وهو العقيدة الصحيحة؛ الخالية من البدع، وذلك من خلال تحقيق التوحيد بإفراد الله عز وجل بالعبادة والابتعاد عن الشرك، والبدع؛ والإحداث في دين الله تعالى مالم يشرعه سبحانه وتعالى، وأن لا يعبد المسلم ربه إلا بما شرعه رسوله صلى الله عليه وسلم، ولهذا كان من الضروري بيان حكم تعبد الله عز وجل

بالصمت، وهل له أثر على عقيدة المسلم فيجتنبه، أم أنه جائز فيحل له أن يعمله.

أسباب اختيار الدراسة

نظرا لانتشار عبادة التعبد بالصمت في كثير من دول العالم، حتى وصل ذلك إلى بعض الدول الإسلامية، وبدأ ينتقل سريعاً من دولة إسلامية إلى إخرى، ونظراً لأنه من الواجب على المسلم أن يتبين في دينه، ويعبد الله عز وجل على بصيرة كان من الواجب بيان حكم التعبد بالصمت بياناً واضحاً حتى يعرفه المسلمون فيتبعون ولا يبتدعون.

أسئلة الدراسة

١– ما العلاقة بين التعبد بالصمت والعقيدة

٢– متى نشأ التعبد بالصمت وما هي صوره

٣– ما حكم التعبد بالصمت

٤– ما خطورة التعبد بالصمت على دين المسلم

أهداف الدراسة

١– توضيح العلاقة بين التعمد بالصمت والعقيدة.

٢– بيان نشأة التعبد بالصمت وصوره.

٣– إيضاح حكم التعبد بالصمت.

٤– تبيين خطورة التعبد بالصمت على دين المسلم.

مشكلة الدراسة

تكمن مشكلة الدراسة في؛ قيام من يتعبد لله تعالى بالصمت بعبادة غير مشروعة إذا كانت تلك العبادة بالصمت المحض بينما قد تكون تلك العبادة صحيحة إذا كانت لاستماع خطبة أو محاضرة، ولهذا لا بد من معرفة مدى صحة عبادة من يتعبد لله تعالى بالصمت عن الكلام، فإما أن تكون هذه عبادة صحيحة يثاب عليها المسلم، ويدعو إليها، ويشجع على فعلها، وإما أن تكون غير ذلك، فإن لم تكن عبادة صحيحة فإنها ستكون بدعة من البدع، والبدع لا يجوز تعبد الله عز وجل بها، ومن تعبد الله تعالى بالبدع فإنه يأثم على هذه العبادة مالم يكن جاهلاً، فإن كان جاهلاً فإنه لا بد من تعليمه حتى يكون على بينة، وهذا ما سيتم بيانه بالتفصيل في هذه الدراسة بإذن الله تعالى.

الدراسات السابقة

وجد العديد من المؤلفات لبعض أهل العلم في حكم الصمت وثواب من يصمت على الحرام، وهي مؤلفات في آداب اللسان، والأخلاق [(١)]، وجدت في ثنايا الكتب؛ لكنها لا تتحدث عن موضوع الدراسة، وإنما عن ثواب من يصمت عن الكلام المحرم، أو المكروه، أو اللغو الذي ليس فيه فائدة، لكنني لم أحصل على دراسة مستقلة توضح أحكام التعبد بالصمت

(١) ومن الأمثلة على هذه المؤلفات: الصمت وآداب اللسان – لابن أبي الدنيا، تحقيق: نجم عبدالرحمن خلف، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

المحض؛ وخطورته على عقيدة المسلم، وهناك مؤلفات عن التفكر؛ أو التفكير كعبادة من العبادات المشروعة ومن هذه المؤلفات:

١– بحث بعنوان: التفكير في آيات الله تعالى ومخلوقاته في ضوء القرآن والسنة، للدكتور: عبد الله بن إبراهيم اللحيدان: وتحدث فيه عن فضل التفكر في ثلاثة مباحث، المبحث الأول: مفهوم التفكير وأهميته، والمبحث الثاني: أنواع التفكر ومجالاته، والمبحث الثالث: ثمرات التفكر ومعوقاته. لكنه لم يتحدث عن لتعبد بالصمت المحض أو غير المحض على وجه التفصيل فكانت الحاجة لكتابة هذا البحث.

٢– كتيب بعنوان: التفكر[١]، وتحدث الشيخ فيه عن التفكر؟ و مجالاته؟ و ثمرته وفوائده؟ وكيف كان حال السلف الصالح رحمهم الله مع هذه العبادة، غير أنه لم يتحدث عن التعبد بالصمت المحض أو غير المحض، وهو ما سأبينه في هذه الدراسة إن شاء الله تعالى.

منهج الدراسة وإجراءاتها

تقوم هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي لمناسبته لها، وقد اتخذت اثناء هذه الدراسات الإجراءات التالية:

١–المنهج المعتمد في الدراسة هو بيان المسألة وفق عقيدة السلف أهل السنة والجماعة، وهي عقيدة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم من السلف الصالح رحمهم الله، مدعماً ذلك بالأدلة الشرعية،

(١) التفكر، محمد صالح المنجد –، مجموعة زاد للنشر ١٤٣٠، هـ الخبر.

فما وافقه فهو الصحيح، وما خالفه أبين وجه مخالفته وأبين الأدلة على ذلك.

٢– لا أترجم للأعلام المعروفين لشهرتهم، وأبين الكلمات الغامضة في الهامش من الكتب المعتمدة في ذلك في التفسير أو اللغة أو غيرهما.

٣– أخرج الأحاديث من كتب الحديث المسندة؛ فما كان في الصحيحين فأنسبه إليهما، وما كان في أحدهما فأكتفي بالنسبة إليه، وما كان في غيرهما فأبين مصدره؛ وكلام أهل العلم على الحديث تصحيحاً أو تضعيفاً.

٤– اعتمدت في هذه الدراسة على بيان الحكم الشرعي لكل صورة من صور التعبد بالصمت مدعما ذلك بالأدلة، مع ذكر كلام أهل العلم في ذلك، دون الاستطراد حتى لا يتوسع الحديث عن الجزئيات على حساب أساس الموضوع وثمرته.

خطة الدراسة

تشتمل خطة الدراسة على مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث وخاتمة.

المقدمة وتشتمل على: عرض الموضوع، وأهميته، وأسباب اختياره، وأسئلته، وأهدافه، والدراسات السابقة، وخطة الدراسة، ومنهج الدراسة واجراءاتها.

التمهيد

التعريف بمصطلحات الدراسة.

المبحث الأول: العلاقة بين التعبد بالصمت والعقيدة

المبحث الثاني: نشأة التعبد بالصمت ومصادره وصوره. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: نشأة التعبد بالصمت ومصادره

المطلب الثاني: صور التعبد بالصمت

المبحث الثالث: حكم التعبد بالصمت؛ وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الفرق بين التعبد بالصمت المحض والتفكر أو الذكر بالقلب عند السلف.

المطلب الثاني: الفرق بين التعبد بالصمت المحض، والصمت من أجل العبادة أو التعلم

المطلب الثالث: الرد على بعض الشبه التي أثارها من يرى التعبد بالصمت

المبحث الرابع: خطورة التعبد بالصمت المحض على عقيدة المسلم.

الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج والتوصيات.

المراجع والفهارس.

التمهيد: التعريف بمصطلحات الدراسة

التعبد في اللغة: مأخوذ من العبادة، والعبادة في اللغة؛ هي: "الخضوع والتذلل"(١). والعبودية، والعبادة هي الطاعة(٢).

التعبد في الاصطلاح: "الانقياد والخضوع لله تعالى بكل ما شرعه؛ ويحبه، ويرضاه؛ من الأقوال الظاهرة، والباطنة؛ على وجه التقرب إليه مع المحبة"(٣).

الصمت في اللغة: "السكوت وعدم النطق"، فيقال: "صمت الرجل سكت ولم ينطق"(٤). وقد أخذه الصمات. وقفل مصمت، أي: قد أبهم إغلاقه. وباب مصمت كذلك، والصمتة: ما يصمت به الصبي من تمر أو شيء ظريف، يقال: ما ذقت صماتا، أي: ما ذقت شيئا. ويقال: لم يصمته ذاك، بمعنى لم يكفه، وأصله في النفي، وإنما يقال فيما يؤكل أو يشرب. ويقال للون البهيم: مصمت. وللذي لا جوف له مصمت. وفرس مصمت؛ وخيل مصمتات: إذا لم يكن فيها شية وكانت بهما، ويقال للرجل إذا اعتقل لسانه فلم يتكلم: أصمت، فهو مصمت(٥).

---

(١) لسان العرب ٣/٢٧١ مادة (عبد)

(٢) القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢٨هـ، بيروت، لبنان، ص: ٣٢٠ تحت: (العبد) .

(٣) مجموع الفتاوى ٩/١٤٩.

(٤) المعجم الوسيط ٥٢٢تحت (صمت) .

(٥) تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ، تحقيق: =

الصمت في الاصطلاح: "السكوت وهو إمساك، وإطباق للفم عن الكلام، فهو إمساك عن الكلام مع إمكانه"[(١)].

العقيدة الإسلامية:

العقيدة في اللغة: كلمة العقيدة في اللغة مأخوذة من العقد، وهو نقيض الحل، وهو يدل على الشدة والوثوق، ومنه: عقد الشيء يعقده عقدا وانعقد وتعقّد، والمعاقد: هي مواضع العقد، والعقدة: القلادة، والعقد: الخيط ينظم فيه الخرز وجمعه عقود، ويقال: اعتقد الدر، والخرز، وغيره: إذا اتخذ منه عقداً، وعقدت الحبل أعقده عقداً، وقد انعقد، ومعقد الحبل مثل مجلس، وهو موضع عقده يقال له: عقده، وجمعها عقد، لأنها تمسكه وتوثقه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ ۝﴾[(٢)]: أي السواحر اللاتي يعقدن الخيوط وينفثن فيها[(٣)].

العقيدة الإسلامية اصطلاحاً: "الإيمان الجازم بالله، وما يجب له في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة من أصول

= محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م، (١٢ / ١١٠-١١١) .

(١) مجموع الفتاوى، (١٧ / ٢٣٢) .

(٢) سورة الفلق؛ آية ٤

(٣) معجم مقاييس اللغة ٨٧/٤ ولسان العرب ٤١٣/٣

الدين وأمور الغيب وأخباره، وما أجمع عليه السلف الصالح، والتسليم لله تعالى في الحكم والأمر والقدر والشرع، ولرسوله صلى الله عليه وسلم بالطاعة، والتحكيم، والاتباع"[(١)].

ويمكن تعريف التعبد بالصمت: التعبد لله تعالى بالصمت؛ إما أن يكون بالصمت المطلق، أو يكون بترديد العلم بالقلب، تقليب النظر، والاعتبار والتفكر في الآيات القرآنية، والكونية[(٢)].

(١) مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الحركات الإسلامية المعاصرة منها، ناصر بن عبد الكريم العقل، الطبعة الأولى، ١١٤١٢ هـ، دار الوطن للنشر، الرياض، (ص: ٦) .

(٢) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية الحراني، تحقيق: بشير محمد عيون، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، مكتبة المؤيد– مكتبة دار البيان، دمشق – بيروت، ص: ٤٠-٤١، مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية، ١٤٢٣ هـ، بحث بعنوان: التفكير في آيات الله تعالى ومخلوقاته في ضوء القرآن والسنة، للدكتور: عبد الله بن إبراهيم اللحيدان، ج٦٦، ص: ١٨٠-١٨١.

المبحث الأول: العلاقة بين التعبد بالصمت والعقيدة

مما لا شك فيه أن من أساسيات العقيدة أن تكون العبادة صحيحة، ولمعرفة مدى صحة العبادة لا بد من عرضها على كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فإذا دل الدليل على ثبوتها فهي عبادة صحيحة إما أن تكون واجبة فيجب على المسلم أن يتعبد الله بها، أو تكون مستحبة فيستحب للمسلم أن يتعبد الله بها، والتعبد بالصمت عبادة ولهذا كان البحث عن مدى ثبوتها في كتاب الله تعالى أو سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فإذا لم تثبت هذه العبادة كان ذلك خللاً في العقيدة وقدحاً في التوحيد لأنه لا يجوز التعبد لله تعالى بالبدع.

وقال شيخ الاسلام ابْن تَيْمِيَّةَ – رحمه الله –: "وَدِينُ الْإِسْلَامِ مَبْنِيٌّ عَلَى أَصْلَيْنِ: أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنْ نَعْبُدَهُ بِمَا شَرَعَهُ مِنْ الدِّينِ"(١).

وهذان الشرطان هما عِماد الاعتصام بالكتاب وعليهما مدار الاستمساك بالعُروة الوُثقى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾(٢). قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ

(١) مجموع الفتاوى، (١/ ١٨٩) .

(٢) سورة لقمان؛ الآية: ٢٢

﴿بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ١١٠﴾[١].

يقول ابنُ قيِّم الجوزيَّة –رحمه الله –: "هذا هو العمل المقبول، الذي لا يَقبلُ اللهُ من الأعمال سواه، وهو أن يكون موافقًا لسنة رسول الله صلى الله عليه و سلم، مُرادًا به وجهُ الله"[٢].

يقول شيخ الإسلام ابْنُ تَيْمِيَّةَ رحمه الله: "معارضة أقوال الأنبياء بآراء الرجال، وتقديم ذلك عليها، هو مِن فعل المكذِّبين للرُّسل، بل هو جِماعُ كلِّ كُفرٍ؛ فإن الله أرسل رسله، وأنزل كتبه، وبيَّن أن المتبعين لما أنزل هم أهل الهُدى والفلاح، والمعرِضين عن ذلك هم أهل الشقاء والضلال"[٣].

ولذلك فإن البدعة هي ما خالف فيها المبتدع شريعة الله عز وجل؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "البدعة في الدين هي ما لم يشرعه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وهو ما لم يأمر به أمر إيجاب ولا استحباب"[٤].

وذكر أهل العلم كذلك أن البدعة هي: "العمل الذي لا دليل عليه في الشرع"[٥]، قال ابن حجر: "من اخترع في الدين؛ ما لا يشهد له أصل من

---

(١) سورة الكهف؛ الآية: ١١٠

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن قيم الجوزية، ط دار الكتب العلمية – بيروت، (١/ ٨٢) .

(٣) درء تعارض العقل والنقل، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط الثانية ١٤١١هـ، بتحقيق: د. محمد رشاد سالم. (٥/ ٢٠٤)

(٤) مجموعة الفتاوى، ٤/١٠٧، ١٠٨.

(٥) الاعتصام، إبراهيم بن محمد بن موسى الشاطبي، تحقيق: سليم الهلالي، دار ابن القيم، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣١ هـ، ج١، ص: ٦٩

أصوله؛ فلا يلتفت إليه"[(١)].

وقيل؛ هي: "مالم يقم دليل شرعي على أنه واجب، أو مستحب؛ سواء أفعل في عهد النبي صلى الله عليه وسلم؛ أم لم يفعل "[(٢)].

والبدعة عند السلف في مقابل السنة، فلا تجتمع بدعة مع السنة، فالسنة هنا يراد بها كل أمر ثبت بكتاب الله تعالى أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأنه مطلوب على الفرض والوجوب، أو على أنه مندوب، قال شيخ الإسلام رحمه الله: "مسألة أن كل بدعة في الدين محرمة، هذا مما أجمع عليه الصحابة والسلف الصالح"[(٣)].

والتعبد بالصمت داخل في اعتقاد صحة العبادة أو عدم صحتها، فمن تعبد الله تعالى بالصمت فإما أن تكون عبادته صحيحة، وإما أن تكون بدعة لأنه تعبد الله تعالى بما لم يشرعه عز وجل، وبناء على ذلك يتبين أن التعبد بالصمت له علاقة مباشرة بالعقيدة الصحيحة، فإما أن يكون عبادة يتعبد المسلم بها لربه عز وجل وإما أن تكون بدعة تناقض العقيدة وتقدح

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، الطبعة الأولى، ١٤٢هـ، دار السلام، الرياض، (٣٧٢/٥) .

(٢) الفتاوى الحديثية، أحمد شهاب الدين بن حجر الهيتمي، طبعة مصطفى الحلبي الطبعة الثانية، ٦٥٥/١

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، أحمد بن عبدالسلام بن تيمية، تحقيق وتعليق الدكتور ناصر العقل، الطبعة الخامسة ١٤١٥هـ، دار المسلم، الرياض، ٥٥/١

بها، وتخالف ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فينهى عنها ويبين تحريمها وعدم مشروعيتها.

وفعل البدعة يحكم على صاحبها بأنه مبتدع إذا كان مصراً على فعلها رافضاً للحق الذي بينه أهل العلم له؛ بينما لو كان جاهلاً ومثله يجهل فمعذور بجهله حتى يعلم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فإذا جاء حديث صحيح فيه تحليل أو تحريم أو حكم؛ فلا يجوز أن يعتقد أن التارك له من العلماء الذين وصفنا أسباب تركهم يعاقب؛ لكونه حلل الحرام، أو حرم الحلال؛ أو حكم بغير ما أنزل الله. وكذلك إن كان في الحديث وعيد على فعل: من لعنة أو غضب أو عذاب ونحو ذلك؛ فلا يجوز أن يقال: إن ذلك العالم الذي أباح هذا، أو فعله، داخل في هذا الوعيد.

وهذا مما لا نعلم بين الأمة فيه خلافاً، إلا شيئا يحكى عن بعض معتزلة بغداد: أنهم زعموا أن المخطئ من المجتهدين يعاقب على خطئه، وهذا لأن لحوق الوعيد لمن فعل المحرم مشروط بعلمه بالتحريم؛ أو بتمكنه من العلم بالتحريم؛ فإن من نشأ ببادية أو كان حديث عهد بالإسلام، وفعل شيئا من المحرمات غير عالم بتحريمها، لم يأثم، ولم يحد، وإن لم يستند في استحلاله إلى دليل شرعي.

فمن لم يبلغه الحديث المحرم، واستند في الإباحة إلى دليل شرعي، أولى أن يكون معذورا. ولهذا كان هذا مأجورا محمودا لأجل اجتهاده، قال الله سبحانه: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ

ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ﴾[1]، فاختص سليمان بالفهم؛ وأثنى عليهما بالحكم والعلم.

وفي "الصحيحين" عن عمرو بن العاص –رضي الله عنه–: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: {إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر}[2].

فتبين أن المجتهد مع خطئه له أجر؛ وذلك لأجل اجتهاده، وخطؤه مغفور له؛ لأن درك الصواب في جميع أعيان الأحكام، إما متعذر أو متعسر، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [4]"[5].

(١) سورة الأنبياء؛ الآية: ٧٩

(٢) رواه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، حديث رقم (٥٦) ، ورواه مسلم في كتاب الأقضية، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، حديث (١٧١٦) .

(٣) سورة الحج؛ الآية؛ ٧٨

(٤) سورة البقرة؛ الآية: ١٨٥

(٥) رفع الملام عن الأئمة الأعلام لشيخ الإسلام ابْن تَيْمِيَّةَ، طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد– الرياض، ١٤٠٣ هـ، ص: ٣٨.

المبحث الثاني: نشأة التعبد بالصمت ومصادره وصوره

انتشر التعبد بالصمت في هذا العصر؛ في العديد من الدول، وأصبح شعاراً يفعله الناس، ورؤساء الدول بالذات، إضافة إلى انتشاره عند أتباع الديانات الضالة، وبعض أصحاب البدع، وسأبين في هذا المبحث؛ نشأة التعبد بالصمت، ومصادره، وصوره فيما يلي:

المطلب الأول: نشأة التعبد بالصمت ومصادره

التعبد بالصمت نشأ عند النصارى، والهندوس، وبعض الفرق المبتدعة المنتسبة للإسلام كالصوفية، ويمكن إيضاح ذلك كما يلي:

الوقوف دقيقة صمت عند النصارى:

"هو تقليد نشأ من طائفة مسيحية اسمها Quakers حيث كان من ضمن طقوسهم الدينية لحظات الصمت أثناء التعبد. وقد ابتدأ التقليد في بنسلفانيا في أمريكا أثناء الحقبة الاستعمارية (قبل أكثر من قرنين)عندما كان أتباع هذه الطائفة يتعبدون مع الهنود الحمر. وحيث أن معتقداتهما الدينية مختلفة، كما أن لغاتهم مختلفة فقد كان الحل لعمل طقس تعبد جماعي بأن يصمت الجميع، ويتأمل ويصلي كل حسب معتقده. ثم تطورت هذه الممارسة لتشمل جميع المؤسسات غير الطائفية مثل الجامعات والمدارس والحكومة، والتي بها أشخاص من خلفيات ثقافية ودينية متعددة، وهذه العبادة كانت معروفة قديما عند النصارى؛ فيتعبد أحدهم بالصمت دون أن

يكلم أحد"[١]. وأما في العصر الحاضر فيتعبد الحاضرون، أو غير الحاضرين بتنظيم دقيقة صمت؛ على روح المتوفى " ففي بريطانيا مثلاً تنظم دقيقة صمت، وكذلك مجلس الأمن، وفرنسا، وتبعتهم في ذلك بعض الدول العربية مثل تونس"[٢].

"وأصل دقيقة صمت هي اقتراح من صحفي استرالي قدم إلى الملك البريطاني جورج الخامس فوافق الملك على الاقتراح في نوفمبر / تشرين الثاني عام ١٩١٩م"[٣].

وكذلك فإن التعبد بالصمت موجود في كتب اليهود والنصارى في أكثر من موضع من أبرزها ما ورد في سفر ابن سيراخ (المرأة المُحبة للصمت عطيةٌ من الله)وأيضاً في سفر أيوب (ليتكم تصمتون فيكون لكم حكمة)، ولحظة الصمت هي صلاة دينية لطائفة تسمى quakers، ودقيقة الحداد أو لحظة الصمت هي صلاة طبقاً للمفهوم الغربي وخصوصاً الأمريكي[٤].

---

(١) الاعتصام، (١ / ٢٩٨) ، وانظر: http: //al-monawa٣a. blogspot. com/٢٠١٤/٠١/blog -post_١٠. html

(٢) صحيفة الوطن السعودية، وانظر: blog-post_٧٠٠٨. html

(٣) صحيفة الجزيرة السعودية بتاريخ ١٤٣٧/٢/٤هـ. وانظر: (الموسوعة. كوم) .

(٤) الصمت عند البوذيين والهندوس والنصارى، وانظر: موقع الدكتور محمود الصياد على الرابط: ma٢٠١١٩. blogspot. comttps: //mobile. twitter. com/almousa_su/status/٥٨٦٤٨٤٢١٠٦٠٦٥٤٦٩٤٦

الصمت عند الهندوس [١] والبوذية[٢]:

تعتبر عبادة الصمت المجرد أيضا إحدى العبادات المعروفة لدى الهندوس، ففي الهندوسية مثلاً " يحتفلون كل عام بعيد (نيابي) أو عيد الصمت! وهو طقس مقدس يلتزم فيه الهندوس الصمت يوماً كاملاً، أما البوذية فنجد لديهم عقيدة (النيرڤانا) وهي حالة الانطفاء والصفاء الروحي

(١) الهندوسية ويطلق عليها أيضا البرهمية؛ ديانة وثنية يعتنقها معظم أهل الهند، وهي مجموعة من العقائد، والعادات والتقاليد، التي تشكلت عبر مسيرة طويلة من القرن الخامس عشر قبل الميلاد، وتتخذ عدة آلهة، فلكل منطقة إله، ولكل عمل أو ظاهرة إله، ويتكون المجتمع الهندوسي من عدة طبقات: البراهمة؛ وهم الذين خلقهم الإله ولهم يلجأ الجميع في حالات الزواج والوفاة، والكاشتر؛ وهم الذين يزعمون أنه خلقهم الإله من ذراعيه ويقدمون القرابين ويحملون السلاح، الويش؛ وهم الذي يزعمون أنه خلقهم الإله من فخذه؛ وهم الذين يزرعون ويتاجرون، وينفقون على المعاهد الدينية، والشودر؛ وهم الذين يزعمون أنه خلقهم الإله من رجليه؛ وهم الزنوج، ويشكلون طبقة المنبوذين، وعملهم مقصور على خدمة الطبقات الثلاث السابقة. (الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف وتخطيط د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط٥، ١٤٢٤هـ، الرياض، ٢ / ٧٢٦ –٧٢٨) .

(٢) هي فلسفة وضعية، انتحلت الصبغة الدينية، وقد ظهرت في الهند بعد الديانة البرهمية الهندوسية، في القرن الخامس قبل الميلاد، ويعتقد البوذيون أن بوذا هو ابن الله، وهو المخلص للبشرية من مآسيها وآلامها، وأنه يتحمل عنهم جميع خطاياهم. ولما مات بوذا قال أتباعه: إنه صعد للسماء بعد أن أكمل مهمته على الأرض، وإنه سيرجع ثانية إلى الأرض ليعيد السلام والبركة إليها، وأنه أنكر الألوهية، والنفس البشرية، وأنه يقول بتناسخ الأرواح. (الموسوعة الميسرة ٢ / ٧٥٨–٧٦٣) .

التي يصل لها الإنسان بالاعتزال والصمت والتأمل"[١].

الصمت عند الأيزيدية[٢]:

يسمي اليزيديون أرضهم المقدسة (وادي لالش)وتعني (وادي الصمت)، "فيتعبدون فيها صامتين حرمةً للمكان الذي ظهر فيه جبرائيل"[٣].

الصمت عند الصوفية[٤]:

(١) الصمت عند البوذيين والهندوس والنصارى وتأييد الكاتب لهم، وانظر: موقع الدكتور محمود الصياد على الرابط: ma٢٠١١٩. blogspot. comوانظر: ttps: //mobile. twitter. com/almousa_su/status/٥٨٦٤٨٤٢١٠٦٠٦٥٤٦٩٤٦

(٢) الإيزيدية أو اليزيدية، هم أتباع يزيد بن أبي أنيسة الخارجي، كان على رأي الإباضية من الخوارج ثم إنه خرج عن قول جميع الأئمة؛ لدعواه أن الله عز وجل يبعث رسولاً من العجم، وينزل عليه كتاباً من السماء، وينسخ بشرعه شرع محمد صلى الله عليه وسلم، وزعم أن أتباع ذلك النبي المنتظر هم الصابئون المذكورون في القرآن، ويكتنف هذه الديانة كثير من الغموض حتى عصرنا الحالي. (الفرق بين الفرق، عبدالقاهر بن محمد البغدادي الأسفرائيني التميمي (ت ٤٢٩هـ) ، المكتبة العصرية، ط١، ١٤٣٠هـ، بيروت – لبنان، ص: ٢٢٦الايزيدية، حقائق وخفايا واساطير، زهير كاظم عبود، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (٢٠٠٥) (ص: ١-٣) .

(٣) المرجع السابق ص: ٢-٣

(٤) الصوفية هي: فرقة ظهرت تدعي التنسك والعبادة ثم فارقت المسلمين في كثير من أعمالها وممارساتها، والصوفيون طوائف عديدة، وأهواء متباينة، شأنهم شأن أهل البدع حين يتركون المنهج الذي شرعه الله لعباده، فبعض الصوفية تابعون للمذهب الإشراقي، =

بناء على عقائدهم الباطلة "تأييداً للخلوة والعُزلة والأوراد الصوفيَّة، والدَعوة للصَّمْت، وعدم الكلام إلَّا لضرورة"[(١)]، وأنَّ الصَّمتَ المطلق ليس مأمورًا به، كما أنَّ الكلام ليس منهيًّا عنه بإطلاق، بل المشروع ما قاله النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم:. (مَن كان يُؤمن بالله واليوم الآخر فليقلْ خيرًا أو ليصْمُتْ)[(٢)][(٣)].

= الذي يدعي أن المعرفة والعلم تقذف في النفس بسبب طول المجاهدة الروحية، إذ يحصل لها بذلك فيض وإشراق إلهي، ومذهبهم أشبه ما يكون بالمذهب البوذي، وقسم آخر يعبر عنه بصوفية الحقائق، وهم من صفوا من الكدر وامتلئوا من الفكر كما يدعون، على طريقة الفلسفة الهندية. وقسم آخر قائلون بالحلول؛ وأن الله تعالى حل في مخلوقاته تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، ومن الصوفية صوفية وحدة الوجود. (فرق معاصرة تنتسب للإسلام وموقف الإسلام منها، د. غالب بن علي عواجي، المكتبة العصرية الذهبية، ط٥، ١٤٢٦هـ، جدة، (٣ / ٨٨٧-٨٩٢) .

(١) الأدب في الدين، أبو حامد الغزالي، ضبطه وقدم له رياض مصطفى العبد الله، منشورات الحكمة، دمشق- سوريا- (د. ط) - (د. ت) ، ص: ٥٠، المآخذ العقدية على كتاب إحياء علوم الدين للغزالي - رُبُع المهلِكات، الدكتور فالح بن مفلح الدوسري، دار الهدي النبوي – دار الفضيلة، ١٤٣٦هـ

(٢) رواه البخاري في كتاب الدعوات حديث رقم (٦٠١٨) ، ورواه مسلم في فضائل الصحابة حديث رقم (٢٤٨٠)

(٣) مواقف ومناجيات – ضمن نصوص صوفية غير منشورة، محمد بن عبد الجبار النفري، حققها و علق عليها و قدم لها بولس نويا اليسوعي، دار المشرق، بيروت، لبنان، (د. ط) ، ١٩٧٣ م، ص: ١٥، تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج النقدية المعاصرة، آمنة بلعلى، دار الاختلاف، الجزائر، ط ١، ٢٠٠٢ م، ص: (١٥٤-١٦٩) .

ويرى الصوفية أن التعبد بالصمت مرحلة يصل إليها المتعبد هي أعلى المراحل، التي يكون فيها المتعبد قد وصل إلى منزلة معينة من الوجد[(١)(٢)].

ولهذا يقولون: "حكومة الواقف صمته، وحكومة العارف نطقه، وحكومة العالم علمه" فأعلاها الواقف، صاحب الرؤيا حيث لا مجال للنطق ولا للعلم، وهو ما جعل النطق أدنى درجة من الصمت والذي هو أعلى الدرجات[(٣)].

المطلب الثاني: صور التعبد بالصمت

أولا: الوقوف دقيقة صمت تحية للمقتول، أو تكريماً، أو حداداً، وتقليداً للكفار، وقد سبق الإشارة لذلك سابقاً، فيقف الأشخاص أمام جنازة الميت صامتين لمدة دقيقة ثم يتفرقون بعدها.

---

(١) وأحد مصادر التلقي عند الصوفية، وهو ما يزعمون أنه يحصل للصوفي من مكاشفات وعلم لا يحصل لغيره. (المصادر العامة للتلقي عند الصوفية عرض ونقد، صادق سليمان صادق، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، مكتبة الرشد، الرياض، ص: ٦٢٤)

(٢) المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال، أبو حامد الغزالي، حققه وقدم له الدكتور جميل صليبا والدكتور كامل عباد، دار الأندلس، ط١٠، ١٤٠٩ هـ، بيروت– لبنان، ص: ١٤٠، الفتوحات المكية في معرفة الأسرار المالكية والملكية، محيي الدين بن عربي، إعداد مكتب التحقيق بدار إحياء التراث الإسلامي، قدم له محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان ج ٢، ص: ٣٧، كتاب التراجم – ضمن رسائل ابن عربي، محيي الدين بن عربي، مطبعة جمعية دار المعارف العثمانية، حيدر أباد، الدكن، ط ١، ١٣٤٨هـ، ج١، ص: ٥٤

(٣) كتاب المواقف والمناجيات للنفري، ص: ١٥.

ثانياً: التعبد بالصمت دون تحديد وقت محدد

فبعضهم قد يصمت يوماً كاملاً، وبعضهم يكون أقل من ذلك، وهذا الصمت يكون على جهة التعبد، فيختلف من شخص إلى شخص، ويرى من يؤيد ذلك أن التعبد بالصمت أمر مباح طال ذلك أو قصر، ولذا يرى المتصوفة أنّه: "من لم يكن الصمت وطَنه فهو في فضول"[(١)].

(١) طبقات الصوفية، أبو عبد الرحمن السلمي، حّققه و عّلق عليه: مصطفى عبد القادر عطا – دار الكتب العلمية، ط: ٢، بيروت– لبنان، ص: ٣٥٥

المبحث الثالث: أحكام التعبد بالصمت

التعبد بالصمت المحض عبادة لكنها لا دليل عليها من كتاب الله تعالى، أو سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وليس هناك ما يدل على شرعيتها، وذلك لأن تقصد الصمت المحض مخالف لأمر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، وسأبدأ ببيان اختلاف التعبد بالصمت المحض عن عبادة التفكر، وبينه وبين الصمت من أجل الاستماع لفائدة بطلب علم شرعي مثل الخطبة أو الدرس أو المحاضرة، أو الانصات للاستفادة العلمية من شرح درس من الدروس أو التعلم في المجالات غير الشرعية الأخرى، ثم سأبين حكم التعبد بالصمت بعد ذلك، فيما يلي:

المطلب الأول: الفرق بين التعبد بالصمت المحض والتفكر أو الذكر بالقلب عند السلف

مما لا شك فيه أن هذه المسألة هي من المسائل المهمة التي تتعلق بالاعتقاد؛ فهي من مسائل العقيدة، ولتأصيل هذه المسألة، وبيانها بشكل واضح فمن الضروري بيان علاقة التعبد بالصمت المحض بعبادة التفكر، وهل هما شيء واحد؟ أم أن كلاً منهما مختلف عن الآخر؟ ولكل واحد منهما حكم مستقل. وكذلك عبادة الذكر بالقلب دون تحريك اللسان، ويمكن إيضاح ذلك فيما يلي:

التفكر ورد في كتاب الله تعالى، وأثنى الله جل وعلا على المتفكرين، فقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾

رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿١٩٢﴾﴾[1].

وقد بين السلف رحمهم الله تعالى المراد بالتفكر هنا فقال ابن جرير رحمه الله في تفسير هذه الآية: "وأما قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾، فإنه يعني بذلك أنهم يعتبرون بصنعة صانع ذلك، فيعلمون أنه لا يصنع ذلك إلا مَن ليس كمثله شيء"[2].

وقال ابن كثير رحمه الله: "﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي: يفهمون ما فيهما من الحكم الدالة على عظمة الخالق وقدرته، وعلمه وحكمته، واختياره ورحمته. وعن الحسن البصري [3]أنه قال: تفكر ساعة

---

(١) سورة ال عمران، الآية ١٩١

(٢) جامع البيان عن تأويل القرآن (تفسير الطبري) ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار السلام، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ، ٢٠٩٨/٣

(٣) هو الحسن بن أبي الحسن يسار، أبو سعيد، مولى زيد بن ثابت الأنصاري، ويقال مولى أبي اليسر كعب بن عمرو السلمي، ولد الحسن – رحمة الله عليه – لسنتين بقيتا من خلافة عمر، قال سليمان التيمي: كان الحسن يغزو، وكان مفتي البصرة جابر بن زيد أبو الشعثاء، ثم جاء الحسن فكان يفتي.

قال محمد بن سعد كان الحسن – رحمه الله – جامعا، عالما، رفيعا، فقيها، ثقة، حجة، مأمونا، عابدا، ناسكا، كثير العلم، فصيحا، جميلا، وسيما. وما أرسله فليس بحجة قال ابن علية: مات الحسن في رجب سنة عشر ومائة، وقال عبد الله بن الحسن: إن أباه عاش نحوا من ثمان وثمانين سنة، قال الذهبي: مات في أول رجب، وكانت جنازته مشهودة، صلوا عليه عقيب الجمعة بالبصرة، فشيعه الخلق، وازدحموا عليه، حتى إن صلاة العصر لم تقم في الجامع (سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، =

خير من قيام ليلة. وقال الفضيل[1]: قال الحسن[2]: الفكرة مرآة تريك حسناتك وسيئاتك. وقال سفيان بن عيينة[3]: الفكرة نور يدخل قلبك.

= مؤسسة الرسالة، ١٤٢٢هـ، بيروت، ٨ / ٤٢٢-٤٢٧، تهذيب الكمال، يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠) .

(١) الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر الإمام القدوة الثبت شيخ الإسلام، أبو علي التميمي اليربوعي الخراساني، المجاور بحرم الله. ولد بسمرقند، ونشأ بأبيورد، وارتحل في طلب العلم، وقال إبراهيم بن الأشعث: ما رأيت أحدا كان الله في صدره أعظم من الفضيل، كان إذا ذكر الله، أو ذكر عنده، أو سمع القرآن ظهر به من الخوف والحزن، وفاضت عيناه، وبكى حتى يرحمه من يحضره، وكان دائم الحزن، شديد الفكرة، ما رأيت رجلا يريد الله بعلمه وعمله، وأخذه وعطائه، ومنعه وبذله، وبغضه وحبه، وخصاله كلها غيره. كنا إذا خرجنا معه في جنازة لا يزال يعظ، ويذكر ويبكي كأنه مودع أصحابه، ذاهب إلى الآخرة، حتى يبلغ المقابر ؛ فيجلس مكانه بين الموتى من الحزن والبكاء، حتى يقوم وكأنه رجع من الآخرة يخبر عنها، توفي سنة ١٨٧هـ، وكان عمره ما يقارب ٨٠ سنة رحمه الله تعالى. (سير أعلام النبلاء، ٢٣/ ٢٨٦) .

(٢) سبق الترجمة له.

(٣) سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون مولى محمد بن مزاحم، أخي الضحاك بن مزاحم الإمام الكبير حافظ العصر، شيخ الإسلام أبو محمد الهلالي الكوفي، ثم المكي، ولد بالكوفة في سنة سبع ومائة.

قال الذهبي: طلب الحديث، وهو حدث، بل غلام، ولقي الكبار، وحمل عنهم علما جما، وأتقن، وجود، وجمع وصنف، وعمر دهرا، وازدحم الخلق عليه، وانتهى إليه علو الإسناد، ورحل إليه من البلاد، وألحق الأحفاد بالأجداد. قال عبد الرزاق: ما رأيت =

وربما تمثل بهذا البيت: إذا المرء كانت له فكرة ففي كل شيء له عبرة[١]"[٢].

وقد وردت الآثار الكثيرة عن السلف في فضل التفكر، فقد سئلت أم الدرداء – رضي الله عنها – عن أفضل عبادة أبي الدرداء – رضي الله عنه – قالت (التفكر والاعتبار)[٣].

وقال السعدي رحمه الله في تفسيره: "﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: ليستدلوا بها على المقصود منها، ودل هذا على أن التفكر عبادة من صفات أولياء الله العارفين، فإذا تفكروا بها، عرفوا أن الله لم يخلقها عبثا"[٤].

ومن المهم هنا أن أبين أمراً يمكن من خلاله الحكم على أن العمل

= بعد ابن جريج مثل ابن عيينة في حسن المنطق. عاش إحدى وتسعين سنة. (سير أعلام النبلاء، ٨/ ٤٥٥ –٤٧٢) .

(١) ديوان أبي العتاهية، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٦ هـ، ص: ٢٠٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم، اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، دار طيبة، ١٤٢٢هـ، (١٨٤/٢) .

(٣) كتاب الزهد للإمام أحمد، دار الكتاب العربي بيروت، ١، ١٤١٦ ص١٩٨، السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج٢ ص ١٩٥، حلية الأولياء، أبو نعيم الأصبهاني، ج١، ص٢٠٨، ج٧، ص: ٣٠٠

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، طبعة دار السلام، ١٧٢

صحيح أو أنه بدعة، فإنه لكي يكون العمل مقبولاً عند الله جل وعلا؛ لا بد أن يتوفر فيه شرطان أساسيان:

الشرط الأول: الإخلاص لله عز وجل، لقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾[1].

الشرط الثاني: اتباع النبي صلى الله عليه وسلم؛ لقول الله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ۝١٥٨﴾[2].

قال الفضيل بن عياض في قوله تعالى: "قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا﴾[3] أي: أخلصه وأصوبه قالوا يا أبا علي: ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إذا كان العمل خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل؛ حتى يكون خالصاً صواباً ؛ والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة "[4].

وأما التعبد بالصمت؛ فهو مجرد الصمت فقط واعتبار ذلك عبادة

(١) سورة البينة؛ الآية: ٥

(٢) سورة الأعراف؛ الآية: ١٥٨

(٣) سورة الملك؛ الآية: ٢

(٤) مجموع الفتاوى ٣/ ١٢٤

دون تفكر أو اعتبار، وهنا يظهر الفرق فالتفكر لا يكون الصمت فيه مقصوداً لذاته، بل يكون المقصود هو التفكر والاعتبار المثمر لعمل صالح ولهذا قال الله تعالى عن المتفكرين في خلق السماوات والأرض في سور ال عمران: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾[1].

إذاً التفكر عبادة ولذلك فقد ذم الله تعالى من لا يعتبر بمخلوقاته الدالة على ذاته وصفاته وشرعه وقدره وآياته، فقال: ﴿وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ ١٠٥ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ١٠٦﴾[2].

فيكون الصمت هنا تبعاً للتفكر، وليس له هنا قدر محدد؛ بل قد يتفكر المسلم ثم يتكلم ثم يتفكر وهكذا.

مسألة الذكر بالقلب دون تحريك اللسان، وهي من المسائل التي تكلم عنها أهل العلم وحرروها؛ فإن ذكر الله تعالى بالقلب داخل في التفكر، وليس مقتصراً على الصمت فقط، والتفكر عمل للقلب؛ وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في مجموع الفتاوى: "النَّاسَ فِي الذِّكْرِ أَرْبَعُ طَبَقَاتٍ:

إحْدَاهَا: الذِّكْرُ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَهُوَ الْمَأْمُورُ بِهِ.

الثَّانِي: الذِّكْرُ بِالْقَلْبِ فَقَطْ، فَإِنْ كَانَ مَعَ عَجْزِ اللِّسَانِ فَحَسَنٌ، وَإِنْ كَانَ مَعَ قُدْرَتِهِ فَتَرْكٌ لِلْأَفْضَلِ.

---

(١) سورة آل عمران؛ الآية: ١٩٢

(٢) سورة يوسف؛ الآيات: ١٠٥-١٠٦

الثَّالِثُ: الذِّكْرُ بِاللِّسَانِ فَقَطْ، وَهُوَ كَوْنُ لِسَانِهِ رَطْبًا بِذِكْرِ اللَّهِ.

الرَّابِعُ: عَدَمُ الْأَمْرَيْنِ وَهُوَ حَالُ الْخَاسِرِينَ"[1].

وقال النووي رحمه الله: "وذكر الله تعالى ضربان، ذكر بالقلب، وذكر باللسان، وذكر القلب نوعان،: أحدها؛ وهو أرفع الأذكار وأجلها الفكر في عظمة الله تعالى؛ وجلاله، وجبروته، وملكوته، وآياته في سماواته، وأرضه. الثاني: ذكره بالقلب عند الأمر، والنهي؛ فينتثل ما أمر به، ويترك عن ما نهي عنه، ويقف عمّا أشكل عليه"[2].

المطلب الثاني: الفرق بين التعبد بالصمت المحض، والصمت من أجل العبادة أو التعلم

الصمت المحض هو التعبد لله تعالى دون تفكر أو اعتبار، لكن قد يكون الصمت مستحباً إذا قصد له العبد الاستفادة من العلم أو قد يكون مباحاً إذا كان لا يقصد به التعبد، ويتضح ذلك فيما يلي:

١– الإنصات من أجل العلم:

الصمت من أجل العبادة قد يكون واجباً أو مستحباً، فقد ورد الأمر بالصمت في بعض المواضع من أجل عبادة مشروعة وليس صمتاً مستقلاً ولذلك فإنه مستثنى من الصمت البدعي، فالصمت الواجب للخطبتين، دل

(١) مجموع الفتاوى ٥٦٦/١٠

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ، (١٥/١٧)

عليه قول النبي الكريم عليه الصلاة والسلام: (إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَنْصِتْ، وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ؛ فَقَدْ لَغَوْتَ)[١].

وكذلك الصمت المستحب لاستماع الدروس وطلب العلم وسماع الموعظة ونحو ذلك فهي من أجل الاستماع والاستفادة وليست صمتا مطلقاً تعبداً دون أي عمل.

٢– الصمت المباح (لا يقصد به العبادة)[٢]:

الأصل أن الإنسان يجوز له الكلام بما ليس بمحرم، كما أنه يجوز له الصمت كذلك؛ لكن لا يكون الصمت طويلاً؛ مثل من يصمت يوماً كاملاً، فإن ديننا الإسلامي لم يكن في عباداته الصمت المطلق، ، ويدل على ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: (ولا صُمات يوم إلى الليل)[٣].

ومعنى قوله: لا صمات يوم إلى الليل ـ أي لا يسكت أحدكم يوما كاملا إلى الليل، قال المناوي[٤] في فيض القدير: "أي لا عبرة به ولا

---

(١) رواه البخاري في كتاب الجمعة، باب الإنصات يوم الجمعة والإمام يخطب وإذا قال لصاحبه أنصت فقد لغا، حديث رقم (٨٩٢) ، ورواه مسلم في كتاب الجمعة، باب في الإنصات يوم الجمعة في الخطبة، حديث رقم (٨٥١) .

(٢) قال الحنفية: إن تعبد بالصمت كره، وإن لم يتعبد به لم يكره. انظر: الفتاوى الهندية، المسماة بالفتاوى العالمكيرية: جماعة من علماء الهند، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة (. ٢١٢/١) .

(٣) رواه أبو داود برقم ٢٨٧٣وابن ماجة والبيهقي في السنن الكبرى وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة.

(٤) المناوي هو: عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن نورالدين علي بن زين العابدين الحدادي =

فضيلة له وليس مشروعا عندنا كما شرع للأمم قبلنا فنهى عنه، لما فيه من التشبه بالنصرانية. والنفي وإن جرى على اللفظ، لكن المنفي محذوف أي لا استحقاق يتم بعد احتلام، ولا حل صمت يوم إلى الليل"[1].

وقال صاحب عون المعبود: "فِيهِ النَّهْي عَمَّا كَانَ مِنْ أَفْعَال الْجَاهِلِيَّة وَهُوَ الصَّمْت عَنْ الْكَلَام فِي الِاعْتِكَاف وَغَيْره"[2].

فإن هذا الدين لا يشرع فيه التعبد بالصمت في اليوم كله، ولا أن يتكلف الإنسان فيستعمل لغة الإشارة وله لسان، ولكن من الدين والإسلام قلة الكلام.

قال ابن قدامة رحمه الله تعالى: "دخل أبو بكر الصديق رضي الله عنه على امرأة، يقال لها زينب، فرآها لا تتكلم، فقال: ما لها لا تتكلم؟ قالوا:

= المناوي القاهري الشافعي (زين الدين) ولد سنة: ٩٥٢هـ وتوفي سنة: ١٠٣١ هـ، من كبار العلماء بالدين والفنون، له أكثر من مائة مصنف، منها الكبير والصغير والتام والناقص، من كتبه: فيض القدير، كنوز الحقائق، شرح الشمائل للترمذي، شرح التحرير في الفقه، إعلام الحاضر والبادي، مخطوط في مكتبة الشيخ عارف حكمت بالمدينة المنورة برقم (٣٧٥٨) ، ويسير في مؤلفاته على عقيدة الأشاعرة، (خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي ٤١١/٢، عشرالمسائل العقدية في فيض القدير – عبدالرحمن التركي ٩٠/١) .

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٦ هـ، ج٦، ص: ٤٤٤

(٢) عون المعبود على شرح سنن أبي داود، شرف الحق العظيم آبادي محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر الصديقي، دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ، ١٢٩٨/٢

حجت مصمتة. فقال لها: تكلمي، فإن هذا لا يحل، هذا من عمل الجاهلية. فتكلمت"[١]. وروى أبو داود رحمه الله بإسناده عن علي، رضي الله عنه قال: حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لا صمات يوم إلى الليل)[٢]. فإن نذر ذلك في اعتكافه أو غيره لم يلزمه الوفاء به. وبهذا قال الشافعي، وأصحاب الرأي. ولا يعلم فيه مخالفاً؛ لما روى ابن عباس رضي الله عنهما، قال: بينا النبي صلى الله عليه وسلم يخطب، إذا هو برجل قائم، فسأل عنه؟ فقالوا: أبو إسرائيل، نذر أن يقوم في الشمس ولا يقعد، ولا يستظل ولا يتكلم، ويصوم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (مروه فليتكلم، وليستظل، وليقعد، وليتم صومه)[٣]. ولأنه نذر فعل منهي عنه، فلم يلزمه، كنذر المباشرة في المسجد. ولنا، النهي عنه، وظاهره التحريم، والأمر بالكلام، ومقتضاه الوجوب، وقول أبي بكر الصديق رضي الله عنه: إن هذا لا يحل، هذا من عمل الجاهلية. وهذا صريح، ولم يخالفه أحد من الصحابة فيما علمناه، واتباع ذلك أولى"[٤].

وأما صمت النبي صلى الله عليه وسلم طويلاً، كما دلت عليه الأحاديث من أنه كان صلى الله عليه وسلم طويل الصمت، كثير الذكر،

---

(١) رواه البخاري في مناقب الأنصار برقم ٣٦٢٢

(٢) رواه أبو داود وغيره وسبق تخريجه.

(٣) رواه البخاري في كتاب الأيمان والنذور برقم ٦٣٢٦

(٤) المغني، موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة، طبعة بيت الأفكار الدولية، ١/٦٤٢-٦٤٣ أثناء حديثه عن مسألة من نذر الصمت في اعتكافه.

قليل الضحك، فهو يذكر الله عليه الصلاة والسلام، ولا يتعبد الله تعالى بالصمت المجرد؛ بل كان يتفكر صلى الله عليه وسلم؛ فصمته كان عباده عليه الصلاة والسلام، قيل لجابر بن سمرة رضي الله عنه: (أكنت تجالس النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم كان طويل الصمت، قليل الضحك، وكان أصحابه ربما تناشدوا عنده الشعر والشيء من أمورهم، فيضحكون، وربما يتبسم)[1].

ويدل على ذلك أيضاً قوله صلى الله عليه وسلم: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت)[2].

المطلب الثالث: الرد على بعض الشبه التي أثارها مجيزو التعبد بالصمت

الصحيح من أقوال أهل العلم؛ أن التعبد بالصمت محرم لورود الأدلة التي تدل على التحريم؛ ولا صارف لها [3]**، وهناك بعض الشبه التي أطلقها**

---

(١) رواه أحمد ٨٦/٥ والطبراني في الأوسط ٧٠٣١، وحسنه ابن حجر في نتائج الأفكار ٣٠٠/١ والألباني في صحيح الجامع ٤٨٢٢، وصححه شيخ الإسلام في الجواب الصحيح ٤٧٤/٥

(٢) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، حديث رقم (٥٦٧٢) ، ورواه مسلم في كِتَاب الْإِيمَانِ، باب الْحَثِّ عَلَى إِكْرَامِ الْجَارِ وَالضَّيْفِ وَلُزُومِ الصَّمْتِ إِلَّا عَنْ الْخَيْرِ حديث رقم (٤٧) .

(٣) وقال الموفق والمجد: ظاهر الأخبار تحريمه (٨٩٧) . المغني ٤٧٩/٤، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف: علاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان المرداوي الحنبلي (ت٨٨٥هـ) ، مطبعة السنة المحمدية، الطبعة الأولى ١٣٧٦هـ. ٧٣٠/٧

مجيزو التعبد بالصمت، ويمكن الرد عليها بعد إيرادها فيما يلي:

١– صمت زكريا ومريم عليهما السلام:

وهذه الشبهة أوردها أصحابها مستدلين بها على جواز التعبد بالصمت[١]، وأن زكريا قد تعبد الله تعالى بالصمت حيث قال الله تعالى عنه: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ۝١٠﴾[٢]، **وقال سبحانه وتعالى عن مريم:** ﴿فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ۝٢٦﴾[٣].

قال الشنقيطي رحمه الله[٤] في تفسيره أضواء البيان بعدما ذكر أقوال

---

(١) هناك من يدعو للتعبد بالصمت، وينكر على من يحرم ذلك، ويستدل على ذلك بالعديد من الأدلة ومنها هذه الأدلة، وانظر: http: //www. alwatan. com. sa/Articles/Detail. aspx?ArticleId=٢٢١٦٧،

ومن أهل العلم من يرى كراهة التعبد بالصمت دون تحريمها؛ قال ابن عقيل: يكره الصمت إلى الليل، انظر: المغني: لأبي محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي (ت٦٢٠هـ) ، تحقيق د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، د. عبدالفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، ٤٧٩/٤. ولكن الراجح تحريم ذلك كما بينته.

(٢) سورة مريم؛ الآية: ١٠

(٣) سورة مريم؛ الآية: ٢٦

(٤) هو محمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر الجكني الشنقيطي، ولد في بلدة تنْبه في شنقيط عام ١٣٠٥هـ، حفظ القرآن وطلب العلم في صغره في فنون كثيرة، ثم رحل إلى الحج، وقرر البقاء في المدينة بطلب من المشايخ، واشتغل بالتدريس في المسجد النبوي، وبالفتيا والتأليف، له العديد من المؤلفات منها: منع جواز المجاز في المنزل للتعبد =

المفسرين في أنه شرع من قبلنا، وأنه ليس بشرع لنا إذا خالف شرعنا: "وعليه فإن النذر الذي نذرته ألا تكلم اليوم إنسياً كان جائزاً في شريعتهم أما في الشريعة التي جاءنا بها نبينا صلى الله عليه وسلم فلا يجوز ذلك النذر ولا يجب الوفاء به قال البخاري في صحيحه: عن ابن عباس رضي الله عنهما: (بينا النبي صلى الله عليه وسلم يخطب إذ هو برجل قائم فسأل عنه فقالوا: أبو اسرائيل نذر أن يقوم ولا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ولا يصوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: مره فليتكلم، وليستظل وليقعد، وليتم صومه)[1]. قال ابن حجر في الفتح؛ في الكلام على هذا الحديث؛ وفي حديثه أن السكوت عن المباح ليس من طاعة الله، وقد أخرج أبو داود من حديث علي – رضي الله عنه – (ولا صمت يوم إلى الليل، وتقدم في السيرة النبوية، قول أبي بطر الصديق رضي الله عنه إن هذا – يعني الصمت – من فعل الجاهلية)[2]"[3].

= والإعجاز، ودفع إيهام الإضطراب في آي الكتاب، مذكرة الأصول على روضة الناظر، أداب البحث والمناظرة، أضواء البيان لتفسير القرآن بالقرآن، توفي رحمه الله في مكة المكرمة سنة ١٣٩٣هـ (انظر ترجمة تلميذه الشيخ عطية محمد سالم في مقدمة كتابه أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، مكتبة ابن تيمية، ١٤٠٨هـ، القاهرة ١/ أ–ل)

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أضواء البيان بتصرف ٤/٢٨٨

٢– تحنث النبي صلى الله عليه وسلم في غار حراء[١]:

الحقيقة أن تعبد النبي صلى الله عليه وسلم في غار حراء؛ ليس تعبداً بالصمت كما يدعي البعض، وإنما كان يتعبد لله تعالى بالتفكر في عظمته سبحانه وتعالى، والتدبر في مخلوقاته الدالة عليه جل وعلا[٢].

(١) قال الحافظ ابن حجر: (قال: والتحنث التعبد) هذا ظاهر في الإدراج، إذ لو كان من بقية كلام عائشة لجاء فيه قالت، وهو يحتمل أن يكون من كلام عروة أو من دونه، ولم يأت التصريح بصفة تعبده، لكن في رواية عبيد بن عمير عند ابن إسحاق " فيطعم من يرد عليه من المساكين " وجاء عن بعض المشايخ أنه كان يتعبد بالتفكر، ويحتمل أن تكون عائشة أطلقت على الخلوة بمجردها تعبدا، فإن الانعزال عن الناس ولا سيما من كان على باطل من جملة العبادة كما وقع للخليل – عليه السلام – حيث قال: إني ذاهب إلى ربي، وهذا يلتفت إلى مسألة أصولية، وهو أنه – صلى الله عليه وسلم – هل كان قبل أن يوحى إليه متعبدا بشريعة نبي قبله؟ قال الجمهور: لا، لأنه لو كان تابعا لاستبعد أن يكون متبوعا، ولأنه لو كان لنقل من كان ينسب إليه. (فتح الباري، (٨ / ٩١٦) ، وقال النووي رحمه الله: "وأما التحنث بالحاء المهملة والنون والثاء المثلثة فقد فسره بالتعبد وهو تفسير صحيح وأصل الحنث الإثم فمعنى يتحنث يتجنب الحنث فكأنه بعبادته يمنع نفسه من الحنث ومثل يتحنث يتحرج ويتأثم أي يتجنب الحرج والإثم ". (شرح مسلم للنووي، تحقيق الشيخ عرفان حسونة، دار إحياء التراث الإسلامي، ط١، ١٤٢٠هـ، بيروت، لبنان، (١ /٢٥٢) ، وقال الطبري في شرح أصول اعتقاد أهل السنة: " فكان يأتي حراء فيتحنث فيه – وهو التعبد الليالي ذوات العدد – ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فتزوده لمثلها حتى فجأه الحق، وهو في غار حراء ". (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، أبو القاسم هبة الله ابن الحسن بن منصور الطبري، دار طيبة، ١٤٢٣هـ، (٤ / ٨٣٣) .

(٢) فتح الباري، (١١ / ٧١٩) .

فإن معنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتحنث في غار حراء الليالي ذات العدد؛ أي: يتعبد لله عز وجل، وعبادته هنا؛ هي الاعتكاف، والتفكر في خلق الله عز وجل[1].

قال ابن حجر رحمه الله تعالى: "وكأنه مما بقي عندهم من أمور الشرع على سنن الاعتكاف، وقد تقدم أن الزمن الذي كان يخلو فيه كان شهر رمضان، وأن قريشاً كانت تفعله؛ كما كانت تصوم عاشوراء، ويزاد هنا أنهم إنما لم ينازعوا النبي صلى الله عليه وسلم في غار حراء مع مزيد الفضل فيه على غيره؛ لأن جده عبدالمطلب أول من كان يخلو فيه من قريش، وكانوا يعظمونه لجلالته، وكبر سنه؛ فتبعه على ذلك من كان يتأله، فكان صلى الله عليه وسلم يخلو بمكان جده، وسلَّم له ذلك أعمامه لكرامته عليهم"[2].

٣– الاستدلال ببعض الآيات والأحاديث الواردة في الحث على الصمت؛ والرد عليها:

يستدل من يقول بالتعبد بالصمت المحض ببعض الأدلة، فإما أنهم يفسرون الآيات على غير ما ورد في تفسيرها، أو يستدلون ببعض الأحاديث؛ كما تقدم؛ والحقيقة أن كل ما ورد من أحاديث في التعبد بالصمت فإما أنه ضعيف، أو أنه مما أجيب عليه هنا بأن المراد بالصمت

---

(١) شرح النووي على مسلم، (١ / ٢٥٢) .

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن جدر العسقلاني، دار السلام، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ الرياض، ١٢/ ٤٤٤

ترك الكلام الذي لا خير فيه، أو أن المراد به الإنصات من أجل استماع خطبة، أو درس علمي، فلا يكون الصمت هنا مراداً لذات الصمت كما يفعله المبتدعة وهو ما يسميه أهل العلم بالصمت المحض ويتبين ذلك فيما يلي:

أ– الاستدلال ببعض الآيات ويفسرونها بغير تفسير أهل العلم فيستدلون بما يلي:

١– الاستدلال بقول الله تعالى عن مريم عليها السلام: ﴿فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ٢٦﴾[1]؛ ويقولون إن صمتها عبادة، وقد سبق أن ذلك؛ إما أنه لا يراد به الصمت المحض، أو أنه شرع من قبلنا.

٢– الاستدلال بقول الله تعالى عن زكريا عليه السلام حين بشرته الملائكة بغلام وقد بلغ من الكبر؛ وامرأته عاقر فقال: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ١٠﴾[2] فيقولون إن صمته عبادة، وقد سبق بيان أن هذا الدليل لا يسلم لهم به.

٣– الحديث الذي يروى عن أبي هريرة رضي الله عنه، وينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم بأنه قال: (الصمت أرفع العبادة). هو حديث ضعيف لا يعول عليه ولم يصح مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه

(١) سورة مريم؛ الآية: ٢٦

(٢) سورة مريم؛ الآية: ١٠

وسلم[1].

٤– الحديث الذي يروى عن ابن عمر رضي الله عنهما؛ وينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (صمت الصائم تسبيح، ونومه عباده، ودعاءه مستجاب، وعمله مضاعف). هو حديث ضعيف أيضا ولا يعول عليه[2].

٥– الحديث الذي يروى عن عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنه؛ وينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم بأن قال: (نوم الصائم عبادة، وصمته تسبيح، وعمله مضاعف، ودعاؤه مستجاب، وذبنه مغفور)[3].

وبناء على ما سبق يمكن الرد على هذه الأدلة كما يلي:

١– التعبد بالصمت مخالف لكتاب الله تعالى، فإن الله تعالى أمرنا بأن نتبع ما جاء في كتابه سبحانه وتعالى فقال لنبيه الكريم: ﴿ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٦﴾[4].

---

(١) رواه الديلمي في مسند الفردوس وضعفه الألباني في السلسة الضعيفة برقم ٧٤١، وفي ضعيف الجامع تحت رقم ٣٦٦٤ ص: ٥١٩ (ضعيف الجامع الصغير وزيادته – الفتح الكبير – الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة، ١٤١٠هـ، المكتب الإسلامي، بيروت) .

(٢) رواه ابن منده في أماليه، ورواه الديلمي في مسند الفردوس، وضعفه الألباني في السلسة الضعيفة تحت رقم ٣٧٨٤، وفي ضعيف الجامع تحت رقم ٣٤٩٣ ص: ٥١١

(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان، وضعفه الألباني في السلسة الضعيفة تحت رقم ٤٦٩٦، وفي ضعيف الجامع تحت رقم ٥٩٧٢ ص: ٥١٩

(٤) سورة الأنعام؛ الآية: ١٠٦

قال ابن جرير رحمه الله: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: اتبع، يا محمد – صلى الله عليه وسلم – ما أمرك به ربك في وحيه إليك، فاعمل به، وانزجر عما زجرك عنه فيه"(١). والوحي هنا المراد به هو القرآن والسنة، ولا يوجد بهما دليل واحد على جواز التعبد بالصمت المحض.

٢– التعبد بالصمت مخالف لما دلت عليه سنة النبي صلى الله عليه وسلم وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن مخالفة سنته فقال: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)(٢).

٣– أن هذه الأدلة التي استدل بها من يقول بأن التعبد بالصمت عبادة أدلة مردودة ولا دلالة فيها ويتضح ذلك من خلال ما يلي:

أ– فأما قول من قال بالتعبد بالصمت دقيقة إحدادً على الميت وقد تقدم؛ فيرد عليهي بأن الإحداد عبادة محددة الكيفية والمحل، ولا يجوز التعبد لله حداداً بالوقوف دقيقة صمت لأنه لا دليل عليه من الكتاب، والسنة المطهرة.

وتحديد مدة الإحداد، وردت في كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم أن المرأة المتوفي عنها زوجها إذا كانت غير حامل فيجب عليها الإحداد أربعة أشهر وعشرا، وأما الحامل فتحد على زوجها حتى تضع

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري) ، ٣٣٠٢/٤

(٢) رواه البخاري في كتاب الصلح حديث رقم (٢٥٥٠) ، ورواه مسلم في كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، حديث رقم (١٧١٨) .

حملها، وما سوى ذلك فيجوز الإحداد على غير الزوج ثلاثة أيام؛ فقال الله سبحانه وتعالى؛ عن عدة غير الحامل: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾﴾[1]. وقال سبحانه عن عدة الحامل: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾﴾[2].

ووردت مدة الإحداد في السنة؛ كما في حديث أُمِّ حَبِيبَةَ رضيَ اللهُ عنها، زَوجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، حِينَ تُوُفِّيَ أبُوهَا أبُو سُفْيَانَ بن حرب رضي الله عنه، فَدَعَتْ بِطِيبٍ فِيهِ صُفْرَةُ خَلُوقٍ أوْ غَيرِهِ، فَدَهَنَتْ مِنهُ جَارِيَةً، ثُمَّ مَسَّتْ بِعَارِضَيْهَا، ثُمَّ قَالَتْ: واللهِ مَا لِي بِالطِّيبِ مِنْ حَاجَةٍ، غَيْرَ أنِّي سَمِعْتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يقُولُ عَلَى المِنْبَرِ: " لا يَحِلُّ لامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ أنْ تُحِدَّ على مَيِّتٍ فَوقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ، إلاَّ علَى زَوْجٍ أرْبَعَةَ أشْهُرٍ وَعَشْراً"، قالَتْ زَيْنَبُ: ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَى زَيْنَبَ بنْتِ جَحْشٍ رضي اللهُ عنها حينَ تُوُفِّيَ أَخُوهَا، فَدَعَتْ بِطِيبٍ فَمَسَّتْ مِنْهُ ثُمَّ قَالَتْ: أمَا وَاللهِ مَا لِي بِالطِّيبِ مِنْ حَاجَةٍ، غَيرَ أنِّي سَمِعْتُ رسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يقُولُ عَلَى المِنْبَرِ: "لا يَحِلُّ لامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ أنْ تُحِدَّ على مَيِّتٍ فَوقَ

(١) سورة البقرة؛ الآية: ٢٣٤.

(٢) سورة الطلاق؛ آية: ٤.

ثَلاَثٍ، إلاَّ علَى زَوْجٍ أرْبَعَةَ أشْهُرٍ وَعَشْراً"[١].

وأما تحديد كيفية الإحداد فتجتنب المعتدة الطيب، والزينة؛ لحديث أُمِّ عَطِيَّةَ أَنَّ النَّبِي صلى الله عليه وسلم قَالَ: "لاَ تُحِدُّ الْمَرْأَةُ فَوْقَ ثَلاَثٍ إلاَّ عَلَى زَوْجٍ، فَإِنَّهَا تُحِدُّ عَلَيْهِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً، ولاَ تَلْبَسُ ثَوْباً مَصْبُوغاً، إلاَّ ثَوْبَ عَصْبٍ _ برود يمنية _ وَلاَ تَكْتَحِلُ وَلاَ تَمَسُّ طِيباً إلاَّ أَدْنَى طُهْرَتِهَا إِذَا طَهُرَتْ مِنْ مَحِيضِهَا بِنُبْذَةٍ مِنْ قُسْطٍ _ طيب قيل إنه العود _ أَوْ أَظْفَارٍ _ نبات عطري يشبه الأظفار"، قَالَ يَعْقُوبُ مَكَانَ عَصْبٍ: " إلاَّ مَغْسُولاً "، وَزَادَ يَعْقُوبُ: "وَلاَ تَخْتَضِبُ"[٢].

وعند مسلم أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "لاَ تُحِدُّ امْرَأَةٌ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلاَثٍ إلاَّ عَلَى زَوْجٍ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً وَلاَ تَلْبَسُ ثَوْباً مَصْبُوغاً إلاَّ ثَوْبَ عَصْبٍ وَلاَ تَكْتَحِلُ وَلاَ تَمَسُّ طِيباً إلاَّ إِذَا طَهُرَتْ نُبْذَةً مِنْ قُسْطٍ أَوْ أَظْفَارٍ ".

قال شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله: " المعتدة عدة الوفاة: تتربص أربعة اشهر وعشراً وتجتنب الزينة والطيب في بدنها وثيابها ولا تتزين ولا تتطيب ولا تلبس ثياب الزينة وتلزم منزلها فلا تخرج بالنهار إلا لحاجة ولا

(١) رواه البخاري في كتاب الطلاق، باب تحد المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشرا، (حديث رقم ٥٠٢٤) ، ورواه مسلم في كتاب الطلاق، باب وجوب الإحداد في عدة الوفاة وتحريمه في غير ذلك إلا ثلاثة أيام، حديث رقم (١٤٨٦) .

(٢) سبق تخريجه، وهذا لفظ مسلم، ولأبي داود والنسائي من الزيادة: "ولا تختضب" وللنسائي: "ولا تمتشط ".

بالليل إلا لضرورة ويجوز لها أن تأكل كل ما أباحه الله: كالفاكهة واللحم: لحم الذكر والأنثى ولها أكل ذلك باتفاق علماء المسلمين وكذلك شرب ما يباح من الاشربة ويجوز لها أن تلبس ثياب القطن والكتان وغير ذلك مما أباحه وليس عليها أن تصنع ثياباً بيضاء أو غير بيض لعدة بل يجوز لها لبس المقفص[1] لكن لا تلبس ما تتزين به امرأة: مثل الأحمر، والأصفر، والأخضر الصافي، والأزرق الصافي؛ ونحو ذلك، ولا تلبس الحلي مثل الاسورة، والخلاخل، والقلايد، ولا تختضب بحناء، ولا غيره، ولا يحرم عليها عمل شغل من الاشتغال المباحة: مثل التطريز والخياطة والغزل وغير ذلك مما تفعله النساء.

ويجوز لها سائر ما يباح لها في غير العدة: مثل كلام من تحتاج إلا كلامه من الرجال إذا كانت مستترة وغير ذلك"[2].

وقد أفتت اللجنة الدائمة للإفتاء بالمملكة العربية السعودية بتحريم الوقوف دقيقة صمت ففي سؤال وجه للجنة جاء فيه: حكم الوقوف دقيقة حداداً على شخص مات السؤال: هل يجوز الوقوف دقيقة مثلا مع الصمت حداداً على رجل مات؟

الجواب: الحمد لله ما يفعله بعض الناس من الوقوف زمنا مع الصمت تحية للشهداء أو الوجهاء أو تشريفا وتكريما لأرواحهم وحدادا عليهم من المنكرات والبدع المحدثة، التي لم تكن في عهد النبي صلى الله عليه

(١) أي المخطط.

(٢) مجموع الفتاوى، (٣٤/ ٢٧)

وسلم، ولا في عهد أصحابه ولا السلف الصالح، ولا تتفق مع آداب التوحيد وإخلاص التعظيم لله، بل اتبع فيها بعض جهلة المسلمين بدينهم من ابتدعها من الكفار، وقلدوهم في عاداتهم القبيحة، وغلوهم في رؤسائهم ووجهائهم أحياء وأمواتا، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التشبه بهم. والذي عرف في الإسلام من حقوق أهله: الدعاء لأموات المسلمين، والصدقة عنهم، وذكر محاسنهم، والكف عن مساويهم. . إلى كثير من الآداب التي بَيَّنها الإسلام، وحث المسلمَ على مراعاتها مع إخوانه أحياءً وأمواتاً، وليس منها الوقوف حداداً مع الصمت تحيةً للشهداء أو الوجهاء، بل هذا مما تأباه أصول الإسلام.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم".

ولذلك فالتعبد بالصمت إحداداً على الميت هو من البدع التي ليس عليها دليل من كتاب الله تعالى أو سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، ولم يفعله أحد من أصحابه الكرام رضي الله تعالى عنهم(١).

صيام مريم وزكريا عليه السلام عن الكلام ليس عبادة لنا؛ فقد كان في عبادات بني إسرائيل من قبلنا نذر صمت يومٍ كامل، وقد دل على ذلك قول الله تعالى: ﴿فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ٢٦ فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ٢٧ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ

(١) الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، الشيخ عبد الرزاق عفيفي، الشيخ عبد الله بن غديان، الشيخ عبد الله بن قعود. فتاوى اللجنة الدائمة. ٤٢٧/٢

أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾[1] **يعني صمتاً. لكن ذكر أهل العلم رحمهم الله أن ذلك ليس من العبادات المشروعة، فإن شرع من قبلنا ليس شرع لنا إذا خالف شرعنا، كما تقدم.**

ب– التعبد بالصمت تشبه بالكفار، وقد ورد النهي عن التشبه بالكفار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من تشبه بقوم فهو منهم)[2].

فإذا تبين أن التعبد بالصمت بدعة؛ فيجب اجتنابه، وعدم فعله؛ فإن من اعتقاد أهل السنة مجانبة البدعة، والابتعاد عنها، وعن أهلها[3].

وبناء على ذلك فإن هذه العبادة وهي عبادة الصمت المحض ليست من الدين؛ فمن تعمد أن يصمت فقط دون أن يتكلم أو يتفكر، وإنما فقط

---

(١) سورة مريم: من الآية: ٢٦–٢٨.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند، (٥١١٤، ٥١١٥، ٥٦٦٧) ، ورواه أبوداود في السنن، (٤٠٣١) ، ورواه ابن أبي شيبة (٥٧٥/٤) ، وعبد بن حميد في مسنده (٨٤٨) ، ورواه البيهقي في (شعب الإيمان) (١١٩٩) ، ورواه الطبراني في (مسند الشَّاميِّين) (٢١٦) ، ورواه الطَّحاوي في (مشكل الآثار) (١٢٥/١) . جوَّد إسناده شيخ الإسلام ابن تيميَّة في (اقتضاء الصراط المستقيم) (ص٢٦٩) ، وقال الذَّهبي: (إسناده صالح) ، (سِّير أعلام النبلاء ٥٠٩/١٥) : وحسَّن إسناده ابن حجر، (فتح الباري ٢٧١/١٠) ، وحسنه الألباني في (إرواء الغليل) (١٢٦٩) ، وصححه في صحيح الجامع حديث رقم (٢٨٣١) .

(٣) (كتاب اعتقاد أهل السنة للحافظ أبي بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي المتوفى سنة ٣٧١هـ، تقريظ العلامة حماد بن محمد الأنصاري، مكتبة دار المنهاج، الطبعة الأولى، الرياض، ص: ٥٨) .

يعتبر هذا الصمت المحض عبادة؛ فإنه قد فعل بدعة منكرة لا يجوز للمسلم فعلها؛ لفقدها أحد شرطي العبادة وهو متابعة النبي صلى الله عليه وسلم؛ فإن العبادة لكي تكون مقبولة عند الله عز وجل لا بد أن يتوفر فيها شرطان أساسيان هما شرطا العبادة السابق بيانهما، مما يدل على أن هذه العبادة محرمة، وأن فاعلها عاص لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم(١).

إضافة إلى أن أصل هذه البدعة قد وفدت إلى بلاد المسلمين من غير المسلمين، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن متابعة الكفار في أعمالهم حيث قال عليه الصلاة والسلام: (لتتبعُنَّ سَنَنَ من كان قبلَكم، شبرًا بشبرٍ وذراعًا بذراعٍ، حتى لو دخلوا جُحْرَ ضبٍّ تبعتُمُوهم). قلنا: يا رسولَ اللهِ، اليهودُ والنصارى؟ قال: فمَنْ)(٢).

وأما الصمت عن الكلام الواجب أو المستحب، أو الصمت عن الكلام المحرم أو فضول الكلام؛ فقد وضع أهل العلم لها ضوابط، فقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "إن طال الصمت حتى تضمن ترك الكلام الواجب صار حراماً؛ وكذا إن تعبد بالصمت عن الكلام المستحب، والكلام المحرم يجب الصمت عنه، وفضول الكلام ينبغي الصمت

---

(١) قال الموفق والمجد: ظاهر الأخبار تحريمه. (انظر: المغني ٤/٤٧٩، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف: علاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان المرداوي الحنبلي (ت٨٨٥هـ) ، مطبعة السنة المحمدية، الطبعة الأولى ١٣٧٦هـ. ٧/٧٣٠) .

(٢) رواه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة؛ برقم (٦٨٨٩) ، ورواه مسلم في كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى برقم (٢٦٦٩) .

عنها"[1].

وقد جاءت النصوص بالأمر بالصمت عن الكلام المحرم، وليس بالصمت المحض ومنها قول النبي عليه الصلاة والسلام: (مَنْ صَمَتَ نَجَا)[2]**. وقال عقبة بن عامر رضي الله عنه: قلت: يا رسول الله مَا النَّجَاةُ؟ قَالَ: (أَمْسِكْ عَلَيْك لِسَانَك)**[3].

وقال واعظاً أمته عليه الصلاة والسلام: (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاَللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُت)[4].

وَقَالَ مُعَاذٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنُؤَاخَذُ بِمَا نَقُولُ قَالَ: (ثَكِلَتْك أُمُّك وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسُ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إلَّا حَصَائِدَ أَلْسِنَتِهِمْ)[5]**. وهذا وغيره من الأحاديث التي تدل على أهمية ضبط اللسان.**

---

(١) الاختيارات الفقهية من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: علاء الدين علي بن محمد البعلي (ت٨٠٣هـ) ، المؤسسة السعيدية، الرياض، ص: ١١٤.

(٢) رواه أحمد (٦٤٤٥) والترمذي (٢٥٠١) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٣٦٧) .

(٣) رواه الترمذي في كتاب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في حفظ اللسان حديث رقم (٢٤٠٦) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٣٣١) .

(٤) رواه البخاري في باب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره حديث رقم (٥٦٧٢) ورواه مسلم في كتاب اللقطة، باب الضيافة ونحوها حديث رقم (٤٨) .

(٥) رواه الترمذي في كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة حديث رقم (٢٦٠٦) وصححه الألباني في الجامع الصغير (٥١٣٦) .

المبحث الخامس: خطورة التعبد بالصمت المحض على عقيدة المسلم

حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من البدع أشد تحذير، وذلك لخطورتها على دين المسلم؛ فقال صلى الله عليه وسلم: (وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة)[١]. ولم يبتدع الناس بدعة قط؛ حتى تركوا من السنة مثلها[٢].

ومهما كانت البدعة صغيرة؛ فإنه لا يستهان بها، ويجب الحذر منها؛ فإن صغار البدع تعود حتى تصير كباراً[٣].

والتعبد بالصمت المحض هو بدعة مخترعة؛ مخالفة لما شرعه الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فالمخالف لما بعث الله به رسوله من عبادته وطاعته وطاعة رسله

(١) رواه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، حديث رقم (٦٨٤٩) ، ورواه مسلم في كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة بلفظ: (فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة) حديث رقم (٨٦٧) ، وأخرجه أيضا النسائي بهذا اللفظ ١٨٨/ ٣ وصححه شيخ الإسلام في الفتاوى.

(٢) هو قول حسان بن عطية رواه الدارمي وصححه الألباني في المشكاة (١/٦٦) ، غاية المنة على شرح السنة للإمام البربهاري، دراسة وتحقيق وتعليق، جمعة بن صالح، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ، شركة مكتبة ألفا، مصر، ص: ٣٢

(٣) شرح السنة، البربهاري، ص: ٣٤

لا يكون متبعا للدين الذي شرعه الله كما قال سبحانه: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾[1] بل يكون متبعا لهواه بغير هدى من الله؛ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾[2]. وهم في ذلك؛ تارة يكونون على بدعة يسمونها حقيقة؛ ويقدمونها على شريعة الله عز وجل"[3].

فإذا تعبد المسلم ربه بالصمت المحض فقد اعتقد أن ذلك من شرع الله تعالى؛ بينما هذه العبادة ليست من شرع الله سبحانه وتعالى " والدين عند أهل السنة بالاتباع وليس بالابتداع، ولا شك أن المعاصي تقدح في عقيدة المسلم، وقد قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم)"[4].

(١) الجاثية: الآية؛ [١٨، ١٩] .

(٢) الشورى: الآية؛ [٢١] .

(٣) شرح رسالة العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٥ هـ، دار ابن الجوزي، الرياض، ٨٢

(٤) غاية المنة على شرح السنة للبربهاري، ص: ٢٠٤

النتائج والتوصيات

توصلت في هذه الدراسة؛ إلى العديد من النتائج والتوصيات الهامة وهي كما يلي:

١– أن التعبد بالصمت المحض؛ بدعة من البدع المحدثة؛ التي ما أنزل الله بها من سلطان سواء كان ذلك محدد المدة كدقيقة، أو لم يكن له مدة محددة لمخالفته للأدلة الصحيحة.

٢– أن من فعل عبادة التعبد بالصمت المحض عالماً بحكمها؛ فقد وقع في بدعة محرمة وأنه يأثم بذلك.

٣– أن هناك فرق بين التعبد بالصمت، وبين التفكر فالتفكر عبادة لله يتم من خلالها تحريك الذهن للاعتبار في بديع خلق الله تعالى.

٤– أن تحنث النبي صلى الله عليه وسلم في غار حراء ليس تعبداً بالصمت المحض؛ وإنما هو تفكر واعتبار في خلق الله تعالى وليس صمتاً محضاً.

٥– أن صمت زكريا ومريم عليهما السلام؛ هو شرع من قبلنا وشرع من قبلنا لا يجوز العمل به إذا خالف شرعنا.

٦– أن الأدلة التي يستدل بها من يدعو إلى عبادة الصمت؛ إما ضعيفة، أو لا تدل على جواز التعبد بالصمت؛ وإنما تدل على خلاف ذلك.

٧– أن الأدلة الواردة في الحث على الصمت، وترك الكلام؛ يراد بها الصمت عن الكلام المحرم أو المكروه، ولا يراد بها التعبد بالصمت المحض.

٨– أن التساهل بترك الناس يتعبدون لله بهذه العبادة البدعية يشكل خطورة كبيرة على عقيدة المسلم لأنها من التعبد لله تعالى بالبدع الذي حرمه الله تعالى.

٩– أن على المسلم أن يسأل عن دينه، ويهتم بعبادته فلا يقع كما وقع بعض المسلمين في بدعة التعبد بالصمت دون أن يعلم، وأن عليه أن يسأل أهل العلم.

١٠– أن الواجب على ولاة أمور المسلمين في كل مكان؛ منع هذه البدعة، وعدم السماح بها؛ طلباً لرضا الله عز وجل، وصيانة لسنة النبي صلى الله عليه وسلم.

المراجع

١)الاختيارات الفقهية من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: علاء الدين علي بن محمد البعلي (ت٨٠٣هـ)، المؤسسة السعيدية، الرياض.

٢)الأدب في الدين، أبو حامد الغزالي، ضبطه وقدم له رياض مصطفى العبد الله، منشورات الحكمة، دمشق– سوريا– (د. ت).

٣)الاعتصام، إبراهيم بن محمد بن موسى الشاطبي، تحقيق: سليم الهلالي، دار ابن القيم، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣١ هـ.

٤)أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، مكتبة ابن تيمية، ١٤٠٨هـ، القاهرة.

٥)اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، أحمد بن عبدالسلام بن تيمية، تحقيق وتعليق الدكتور ناصر العقل، الطبعة الخامسة ١٤١٥هـ، دار المسلم، الرياض.

٦)الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف: علاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان المرداوي الحنبلي (ت٨٨٥هـ)، مطبعة السنة المحمدية، الطبعة الأولى ١٣٧٦هـ.

٧)بحوث في عقيدة أهل السنة والجماعة، د. ناصر بن عبدالكريم العقل، دار العاصمة، ط٢، ١٤١٩هـ، الرياض.

٨)تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج النقدية المعاصرة، آمنة بلعلى، دار الاختلاف، الجزائر، ط ١، ٢٠٠٢ م.

٩)التفكر، محمد صالح المنجد –، مجموعة زاد للنشر ١٤٣٠، هـ

الخبر.
١٠)التفكير في آيات الله تعالى ومخلوقاته في ضوء القرآن والسنة، للدكتور: عبد الله بن إبراهيم اللحيدان.
١١)تهذيب الكمال، يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ.
١٢)تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.
١٣)تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، طبعة دار السلام.
١٤)جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار السلام، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ، القاهرة.
١٥)حقائق وخفايا واساطير، زهير كاظم عبود، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
١٦)درء تعارض العقل والنقل، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط الثانية ١٤١١هـ، بتحقيق: د. محمد رشاد سالم.
١٧)ررفع الملام عن الأئمة الأعلام لشيخ الإسلام ابْن تَيْمِيَّةَ، طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد– الرياض، ١٤٠٣ هـ.

١٨)سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٢هـ، بيروت.
١٩)شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، أبو القاسم هبة الله ابن الحسن بن منصور الطبري، دار طيبة، ١٤٢٣هـ.
٢٠)شرح رسالة العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٥ هـ، دار ابن الجوزي، الرياض.
٢١)شرح النووي على صحيح مسلم، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.
٢٢)الصمت وآداب اللسان – لابن أبي الدنيا، تحقيق: نجم عبدالرحمن خلف، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
٢٣)ضعيف الجامع الصغير وزيادته – الفتح الكبير – الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة، ١٤١٠هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.
٢٤)طبقات الصوفية، أبو عبد الرحمن السلمي، حّققه و عّلق عليه: مصطفى عبد القادر عطا – دار الكتب العلمية، ط: ٢، بيروت– لبنان.
٢٥)عون المعبود على شرح سنن أبي داود، شرف الحق العظيم آبادي محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر الصديقي، دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.
٢٦)غاية المنة على شرح السنة للإمام البربهاري، دراسة وتحقيق وتعليق، جمعة بن صالح، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ، شركة مكتبة ألفا، مصر.

٢٧)الفتاوى الحديثية، أحمد شهاب الدين بن حجر الهيتمي، طبعة مصطفى الحلبي الطبعة الثانية.
٢٨)الفتاوى الهندية، المسماة بالفتاوى العالمكيرية: جماعة من علماء الهند، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة.
٢٩)فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن جدر العسقلاني، دار السلام، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ الرياض.
٣٠)الفتوحات المكية في معرفة الأسرار المالكية والملكية، محيي الدين بن عربي، إعداد مكتب التحقيق بدار إحياء التراث الإسلامي، قدم له محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان.
٣١)الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية الحراني، تحقيق: بشير محمد عيون، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، مكتبة المؤيد– مكتبة دار البيان، دمشق – بيروت.
٣٢)الفرق بين الفرق، عبدالقاهر بن محمد البغدادي الأسفرائيني التميمي، (ت ٤٢٩هـ)، المكتبة العصرية، ط١، ١٤٣٠هـ، بيروت – لبنان.
٣٣)فرق معاصرة تنتسب للإسلام وموقف الإسلام منها، د. غالب بن علي عواجي، المكتبة العصرية الذهبية، ط٥، ١٤٢٦هـ، جدة.
٣٤)فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٦ هـ.
٣٥)القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، دار الكتب

العلمية، ط٢، ١٤٢٨هـ، بيروت، لبنان.
٣٦)كتاب اعتقاد أهل السنة للحافظ أبي بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي المتوفى سنة ٣٧١هـ، تقريظ العلامة حماد بن محمد الأنصاري، مكتبة دار المنهاج، الطبعة الأولى، الرياض.
٣٧)كتاب التراجم –ضمن رسائل ابن عربي، محيي الدين بن عربي، مطبعة جمعية دار المعارف العثمانية، حيدر أباد، الدكن، ط ١، ١٣٤٨هـ.
٣٨)كتاب الزهد للإمام أحمد، دار الكتاب العربي بيروت.
٣٩)المآخذ العقدية على كتاب إحياء علوم الدين للغزالي – رُبُع المُهلِكات، الدكتور فالح بن مفلح الدوسري، دار الهدي النبوي – دار الفضيلة، ١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م.
٤٠)مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الحركات الإسلامية المعاصرة منها، ناصر بن عبد الكريم العقل، الطبعة الأولى، ١١٤١٢ هـ، دار الوطن للنشر، الرياض.
٤١)مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية، ١٤٢٣ هـ.
٤٢)مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، طبعة جمع ابن قاسم رحمه الله تعالى (د. ت).
٤٣)المصادر العامة للتلقي عند الصوفية عرض ونقد، صادق سليمان صادق، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، مكتبة الرشد، الرياض.
٤٤)المغني، موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة، طبعة بيت الأفكار

٤٥)المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال، أبو حامد الغزالي، حققه وقدم له الدكتور جميل صليبا والدكتور كامل عباد، دار الأندلس، ط١٠، ١٤٠٩ هـ، بيروت– لبنان.

٤٦)مواقف ومناجيات – ضمن نصوص صوفية غير منشورة، محمد بن عبد الجبار النفري، حققها و علق عليها و قدم لها بولس نويا اليسوعي، دار المشرق، بيروت، لبنان، (د. ط)، ١٩٧٣ م.

٤٧)الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف وتخطيط د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط٥، ١٤٢٤هـ، الرياض.

الصحف والمواقع

http: //al-monawa٣a. blogspot. com/٢٠١٤/٠١/blog-post_١٠. html

صحيفة الوطن السعودية

الصمت عند البوذيين والهندوس والنصارى

صحيفة الجزيرة السعودية بتاريخ ١٤٣٧/٢/٤هـ. وانظر: (الموسوعة. كوم).

موقع الدكتور محمود الصياد الرابط: ma٢٠١١٩. blogspot. com

blog-post_٧٠٠٨. html

ttps: //mobile. twitter. com/almousa_su/status/٥٨٦٤٨٤٢١٠٦٠٦٥٤٦٩٤٦

http: //www. alwatan. com. sa/Articles/Detail. aspx?ArticleId=٢٢١٦٧

فهرس الموضوعات

مقدمة ..... – ٣٦٩ –

أسباب اختيار الدراسة ..... – ٣٧٠ –

أسئلة الدراسة ..... – ٣٧٠ –

أهداف الدراسة ..... – ٣٧٠ –

مشكلة الدراسة ..... – ٣٧١ –

الدراسات السابقة ..... – ٣٧١ –

منهج الدراسة وإجراءاتها ..... – ٣٧٢ –

خطة الدراسة ..... – ٣٧٣ –

التمهيد: التعريف بمصطلحات الدراسة ..... – ٣٧٥ –

المبحث الأول: العلاقة بين التعبد بالصمت والعقيدة ..... – ٣٧٨ –

المبحث الثاني: نشأة التعبد بالصمت ومصادره وصوره ..... – ٣٨٣ –

المطلب الأول: نشأة التعبد بالصمت ومصادره ..... – ٣٨٣ –

المطلب الثاني: صور التعبد بالصمت ..... – ٣٨٨ –

المبحث الثالث: أحكام التعبد بالصمت ..... – ٣٩٠ –

المطلب الأول: الفرق بين التعبد بالصمت المحض والتفكر أو الذكر بالقلب عند السلف– ٣٩٠ –

المطلب الثاني: الفرق بين التعبد بالصمت المحض، والصمت من أجل العبادة أو التعلم – ٣٩٦ –

المطلب الثالث: الرد على بعض الشبه التي أثارها مجيزو التعبد بالصمت ..... – ٤٠٠ –

المبحث الخامس: خطورة التعبد بالصمت المحض على عقيدة المسلم..... – ٤١٥ –

النتائج والتوصيات..... – ٤١٧ –

المراجع..... – ٤١٩ –

فهرس الموضوعات..... – ٤٢٥ –